الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

المسلمون في أوروبا

ثلاثة احتمالات مستقبلية

دانييل بابيس
ترجمة :عبد علي سلمان

ان من اكثر القضايا حراجة التي تواجه اوربا هذه الايام هي العلاقة بين مواطني القارة الاصليين وبين الاقلية الاسلامية النامية فيها. وهناك ثلاثة احتمالات لمستقبل هذه العلاقة : اما الهيمنة الاسلامية أو اخراج المسلمين من القارة أو الاندماج السلس لهم، والغلبة النهائية لواحد من هذه الاحتمالات ستكون لها آثار تطبيقية بالغة ليس لاوروبا فقط ،بل للبشرية بكاملها .

ليشكل المسلمون فيهما اغلبية مع حلول عام ٢٠١٥ .ويزدري المسلمون الحضارة الغربية بشكل كبير خصوصا العلاقات الجنسية المكشوفة التي تعرضها بعض الافلام الفاضحة والاعمال الفنية الاخرى .وكذلك معدلات الطلاق العالية والعلاقات الجنسية المثلية ،لكنهم رغم ذاك يفضلون البقاء في اوربا .وهناك مثل بارز لهذا ،ففي آذار من عام ٢٠٠٤ اصرت والدة الرجل السيئ السمعة خضر برود (التي تعتبر العائلة الارهابية الاولى في كندا) اصرت علنا على ان القاعدة التي ترعى معكسرات التدريب هي المكان الافضل للاولاد وقالت :هل تريدون مني ان ادع اولادي يكبرون في كندا ليكونوا عندما يبلغون ١٢ او ١٣ عاما من متعاطي المخدرات او من ممارسي العلاقات المثلية،هل هذا هو الافضل ؟

لكنها وبعد شهر واحد عادت من افغانستان مع احد ابنائها .وفي الوقت نفسه فان البعض يرى ان الموقف السياسي الصحيح لاوربا يعكس ظاهرة عميقة تتمثل بنفور العديد من الاوربيين من حضارتهم مما يولد احساسا بانها لاتستحق القتال من اجلها. ومن اللافت للنظر ان يلاحظ المرء وجود اختلافات حتى داخل اوربا بهذا الخصوص، وربما تكون فرنسا البلد الاقل ميلا لحالة النفور هذه لكن القومية التقليدية تكبح مثل هذا النفور، والفرنسيون قوم فخورون بهويتهم. في حين ان بريطانيا تمثل البلد الاكثر تفككا حيث باتت برامج الحكومة الحزينة رمزا صارخا لذلك . وكذلك صورة انكلترا وهي تأمل بصورة كسيحة قدح شمعة الحماسة الوطنية باثارة قلق البريطانيين حول «كنوزهم الوطنية «مثل التنورات القصيرة وسواها. وفي كل الاحوال فان العلمانية المتطرفة قد انتشرت خصوصا في اوساط النخبة للحد الذي ساد اعتقاد فيه ان المسيحيين اناس غير متوازنين عقليا وهم بذلك لايناسبون العمل في الدوائر العامة .

وفي العام ٢٠٠٥ رفضت ايطاليا ان يتسلم السياسي الكاثوليكي روكو بوتيليجلوني مفوضية الاتحاد الاوربي بسبب ارائه حول بعض القضايا ومنها العلاقات المثلية . ان العلمانية المنافحة تعني ان تكون الكنائس فارغة .

فمدينة لندن التي يولد فيها مسيحيون اكثر من المسلمين بسبع مرات ، فان الاشخاص الذين يقصدون المساجد ايام الجمع اكثر من الذين يقصدون الكنائس ايام الأحاد ، الاسلام دين يشير الى اقترابه من اوربا . والامير تشارلز يمثل العديد من المفتونين بالاسلام . وتشهد القارة الكثير من النقاشات حول المقولة المنسوبة للسيد جي .كي .جسترتون التي مفادها (عندما يتوقف الناس عن الايمان بالله ، فذلك لايعني انهم لم يعودوا يؤمنون بشيء، بل انهم اصبحوا يؤمنون بكل شيء). وقد لاحظ الراحل اوريانا فالاشي انه ومع مرور الوقت فان اوربا تصبح مقاطعة اسلامية أو مستعمرة للاسلام . وقد اطلق بات يورو اسم «اوروربية « على هذه المستعمرة . اما وولتر لاكوير فقد تنبأ بكتابه « ايام اوربا الاخيرة «بان التغيير سيسود اوربا. ويرى الكاتب مارك شتاين في كتابه «امريكا وحيدة :نهاية العالم كما نعرفه «ان الكثير من دول العالم الغربي لن تقوى على العيش في القرن الواحد والعشرين، وان الكثير منها سيختفي بصورة مؤثرة في ايامنا هذه، وان لم تكن معظمها فالعديد منها على الاقل. ويوضح ايتش تاسيير في مجلة «وجهة نظر «ان هذا الاختلاف له تطبيق مباشر ومعاكس بالنسبة للمهاجرين المسلمين حيث يقول : ان البريطانية (التبرطن) هي اكثر الجوانب رمزية في هوية العديد من البريطانيين من اصل باكستاني. فانت ان شوهت ثقافتك الخاصة فانك ستكون بمواجهة مخاطر تتمثل في ان يبحث الوافدون الجدد من جماعتك عن ثقافة اخرى .وليس من المستبعد في هذه القضية ان الكثير من اصل باكستاني سيتمسكون بالثقافة العربية او ثقافة شبه القارة الهندية . ولأنه تم استبعاد اي شعور قوي بالهوية لثلاث مرات ، فقد اصبح الاسلام الراديكالي الذي بات عامل تنشيط قوي اضافي هوية وحيدة للجيل الباكستاني الثاني .ان الايمان بالاسلام مع ما يصاحبه ذلك من شعور جهادي وشعور بالتفوقية الاسلامية لايكاد يختلف كثيرا عن المعتقدات المسيحية .ولنلاحظ هذا الامر فالمسلمون يعتقدون ان اوربا باتت جاهزة للتحول وللسيطرة عليها . وهناك ادعاءات مثيرة للغضب مثل ذلك الذي صدر من عمر محمد بكري الذي قال (انا اطمح ان تكون بريطانيا دولة اسلامية وارغب ان ارى العلم الاسلامي مرفوعا فوق ١٠ داوننغ ستريت)، وكذلك تصريح امام بلجيكا (قريبا ستكون لنا السلطة في هذا البلد ، وسيندم اولئك الذين ينتقدوننا الآن ، وسرعان ما سيعملون عندنا).

الاحتمال الثاني : عدم قبول المسلمين

استبعد الصحفي الامريكي رالف بيتزر الاحتمال الاول حيث كتب (من المستبعد الموافقة على وجهة النظر التي ترى ان المسلمين سيسيطرون على اوروبا عن طريق الولادات .ذلك ان مسلمي اوربا يعيشون في الزمن الذي يفترض فيه انهم ماتوا .....والقول بالهيمنة الاسلامية على اوربا تجاهل للتاريخ وللفساد الاخلاقي الاوربي الذي يتعذر استئصاله). وبدلا من ذلك يرسم الصحفي صورة لامم اوربا بوصفها المكان المثالي لابادة الامم وللتطهير العرقي. ويتنبأ بان مسلميها سيكونون محظوظين اذا تم ترحيلهم دون ان يقتلوا . اما كلير بيرلنسكي مؤلفة كتاب (الخطر في اوربا : لماذا تعتبر ازمة القارة ازمة امريكية ايضا) فتوافق بصورة مطلقة على هذا الرأي مشيرة الى ان الصراعات القديمة والانماط العابرة تنبعث الان من سديم التاريخ الاوربي . وهذا السيناريو يفترض انه في يوم ما سيستيقظ سكان اوربا الاصليون والذين يشكلون ما نسبته الان ٩٥٪ ليثبتوا وجودهم ويقولوا كلمتهم مسترجعين دورهم التاريخي .وهذا الامر ليس بمستبعد . فالبعض من الاوربيين ومنهم قلة في النخبة احتجوا بصوت عال على التغييرات الجارية الان ومنها التشريع المناوئ للحجاب في فرنسا ، والحساسية من التحديدات المتعلقة بالاعلام الوطنية والرموز المسيحية والاصرار على تقديم الشراب في الحفلات الرسمية .

وفي بواكير عام ٢٠٠٦ شهدت عدة مدن فرنسية حركات عفوية لتقديم حساء لحم الخنزير الى الفقراء وأستثني المسلمون من ذلك .لكن الاحزاب الغاضبة المعارضة للهجرة بدأت بالظهور في عدة بلدان ، وهذه الاحزاب لم تعد تطالب بضبط الحدود فقط بل بطرد المهاجرين غير الشرعيين .وكل الحركات الوطنية الاوربية لاتتم ملاحظتها بصورة واسعة . ومهما كان سجلها صغيرا الا انها ذات امكانيات كبيرة . وهذه الاحزاب ذات خلفية نازية جديدة لكنها تكتسب احتراما متزايدا مع مرور الوقت وتطرح جانبا اصولها المعادية للسامية ونظرياتها المشككة اقتصاديا ، لتطرح اسئلة حول الايمان والسكان والهوية .ويقدم الحزبان الوطني البريطاني وفيلام بيلانج البلجيكي مثالين لهذه الحركة ، وفي يوم ما قد يكون بمقدورهما الحصول على قدرة انتخابية . ففي عام ٢٠٠٢ انحصرت الانتخابات الفرنسية بين جاك شيراك والفاشي الجديد جان ماري لوبان .وتذوقت بعض هذه الاحزاب السلطة حيث وصل هايدر وحزب فريهايت اوستر للحكم في النمسا ، اما في ايطاليا فان الليجا فورد كانت جزءا من الائتلاف الحاكم لعدة سنوات .ومن المحتمل ان تنمو مثل هذه الاحزاب بقوة بسبب برامجها المعادية للاسلام ،وغالبا ما تجد الصيحات المناوئة للاسلام صدى .وقد تتبنى الاحزاب الرئيسية مثل هذه الدعوات جزئيا فقد قدم حزب دين مارك المحافظ انموذجا لذلك فبعد ٧٢ سنة خارج السلطة عاد للحكم . وطوفان الهجرة الذي لامفرمنه وخصوصا الهجرة الواسعة من افريقيا قد يصب في مصلحة هذه الاحزاب . وحينما تكون الاحزاب القومية في السلطة فانها ترفض التعددية الثقافية وتحاول اعادة تأسيس القيم التقليدية وبامكان المرء عندها ان يتوقع الوسائل التي تستخدمها هذه الاحزاب و ردود فعل المسلمين .

ويتوقع الصحفي الامريكي رالف بيتر بعد استقرائه للفاشية الجديدة ومظاهر العنف التي تلجأ اليها بعض المجموعات ، يتوقع قيام حركات ذات سمة ارتدادية تتخذ اشكالا مشؤومة ووصل هذا التوقع لحد وضع سيناريوهات عن كيفية قيام السفن البحرية الامريكية بالرسو في بريمير هافن وباري لضمان اجلاء مسلمي اوربا.

ولعدة سنوات ظل مسلمو اوربا قلقين من احتمال احتجازهم وتعرضم للفظاعات التي سيليها النفي وربما المذابح ايضا . ففي نهاية الثمانينات من القرن الماضي أثار الراحل كليم صديقي رئيس المعهد الاسلامي في لندن المخاوف من ابادة المسلمين في اوربا بغرف غاز على النمط الهتلري.

اما شابير أختر فقدحذر في كتابه الصادر عام ١٩٨٩ والذي كان عنوانه (احذر محمد) من انه ستكون غرف غاز داخل اوربا وليس هناك من شك حول هوية من سيكون بداخلها .واحدى شخصيات حنيف قريشي (بوذا سوبوربيا) الصادرة عام ١٩٩٠ تقوم بالتحضير لتشكيل مجموعات حرب مقاومة وذلك بعد ان يهاجم البيض في النهاية السود والاسيويين لمحاولة زجهم في غرف الغاز . ولعل من المحتمل ان تكون الجهود الاوربية سلمية وقانونية مع المسلمين المبادئين بالعنف وذلك تماشيا مع الانماط الاخيرة . وقد أكدت الاستطلاعات الاخيرة ان ٥٪ من المسلمين البريطانيين قد ايدوا تفجيرات ٧/٧ .ولكن مهما حصل علينا ان لانفترض ان الاوربيين سيسلكون سبل التعاون عندما يصممون لاعادة الامور الى نصابها .

الاحتمال الثالث : اندماج المسلمين

يرى السيناريو الاكثر تفاؤلا ان المهاجرين المسلمين والاوربيين سيتعايشون بانسجام .ولعل الاطروحة الانموذجية لهذه الرؤية قد وردت في كتاب (فرنسا : فرصة للاسلام) لجين هالان وبيير باترك كلاتنباخ حيث كتبا « لاول مرة في التاريخ تعطى فرصة للاسلام لكي ينشط في بلد ديمقراطي غني علماني مسالم « وقد بقي هذا الرجاء حيا .وقد شدد قائد اقتصادي في منتصف عام ٢٠٠٦ على انه للوهلة الاولى على الاقل تبدو فكرة «الاوروربية « مرعبة .وفي الوقت نفسه تقترح جوسلين سيسير الاستاذة المساعدة في الدراسات الاسلامية في جامعة هارفرد نوعا من التوازن القابل للحياة يقوم على ان الاسلام يغير اوربا وتغير اوربا الاسلام بدورها ،واكتشفت ان المسلمين في اوربا لايرغبون في احداث تغييرات في طبيعة الدول الاوربية وتتوقع ان يكيف المسلمون انفسهم ضمن السياقات الاوربية . ان تفاؤلا كهذا ليس له من اسس متينة ولكنه ليس بذي فائدة لأن الاوربيين سيعيدون اكتشاف الايمان ويقومون بزيادة عدد الولادات ويعتزون بارثهم ويشجعون الهجرة غير الاسلامية ويثقفون المسلمين من المهاجرين ومثل هذه التغيرات ليس في الطريق الآن، وليس مثل هذه المقترحات جيدا حاضرا. ان المسلمين يصعدون من تظلماتهم من جيرانهم من السكان الاصليين ويتمسكون بطموحاتهم اثناء نزاعاتهم مع هؤلاء الجيران . ومن المثير للقلق ان كل جيل جديد يبدو اكثر عزلة من السابق. ويسمي الروائي الكندي هوف ماكميلان الانشقاق الانكليزي ـ الفرنسي في بلده «العزلتان « ويرى المرء شيئا مشابها لذلك في اوربا لكن بصورة اكثر وضوحا واستفحالا .فعلى سبيل المثال تظهر الاستفتاءات بين مسلمي بريطانيا ان الاكثرية تشعر بوجود صراع بين بريطانيتهم وهويتهم الاسلامية ويرغبون بوجود قانون اسلامي . وبامكاننا لذلك ان نصرف النظر عن احتمال قبول المسلمين للطبيعة الاوربية والاندماج السلس . وقد رضخ البرفيسور بسام طيبي من جامعة غوتنكن الذي طالما حذر من ان « لا الاسلام سيصبح اوربيا ولا اوربا ستصبح مسلمة « اذ اعلن مؤخرا انه سيغادر المانيا بعد ان قضى فيها ٤٤ عاما الى جامعة كورنيل في الولايات المتحدة .وكتب الصحفي الامريكي دينيس براميز انه من الصعوبة ان نتخيل مستقبلا آخر لاوربا الغربية سوى ان تكون مسلمة او ان تقوم فيها حرب اهلية .وفي الحقيقة وعلى مايبدو فان هذين السبيلين القائمين يحددان الخيارات امام اوربا مع وجود قوى مؤثرة تتجاذب هذين الاتجاهين . هل تمثل اوربا امتدادا لشمال افريقيا ؟ وهل هي في حالة حرب مع الاقليات فيها ؟ ان الحوادث المبينة في طريقها ان تتخذ مكانا ولذا فلا احد يمكنه ان يصدر النداء للقيام بهذه الامور ومقدماتها كثيرة . وفي كل الاحوال فانه وخلال العقود المقبلة فان التغييرات الحاصلة اليوم ستصل الى نهاية .وان معادلة الاسلام ـ اوربا ستأخذ منحى متشددا وان المنهاج الاوربي سيكون واضحا .

وكلا السبيلين غير مسبوقين تاريخيا . فلا الانهيار السكاني يمكنه ان يسبب انعطافا تاريخيا ، ولا الناس الذين ستكون لهم الغلبة يمكنهم ان يسترجعوا ارثهم . ان من الصعوبة فهم الورطة الاوربية او محاولة تفحصها أو التنبؤ بها .ان اوربا في طريقها لتكون بلاد العجائب .

ع/مجلة (المصالح الوطنية) الامريكية

مقدمات انتخابية

ساطع راجي

الحكومة العراقية الحالية هي أول حكومة تبنى وتتحرك استنادا الى الدستور الجديد وبالتالي فهي أول حكومة تواجه وتختبر فعالية الآليات الدستورية ومدى واقعيتها في صنع القرار ومواجهة التحديات اليومية وسلاسة التنفيذ، وقد تعاضدت هذه الحالة مع حالة الانقسام والتشرذم السياسي ليس بين القوى المشاركة في العملية السياسية فحسب بل حتى بين مفاصل السلطة بطريقة تركت الدولة مفككة أمام أكثر من إستحقاق وبدت مواجهة الازمة الامنية أمرا هينا بالمقارنة مع الازمات السياسية التي صار من الواضح إنها هي الاساس الاول لكل الخروقات الامنية.

رئيس الوزراء نوري المالكي كان تحديدا هو الشخص الاكثر مواجهة مع أعطاب الدستور وثغرات آلية صنع القرار وتنفيذه لذلك كان هو في مقدمة الداعين الى تعديله حتى إن هذا الموضوع كان يطرح أحيانا في سياقات لا صلة لها بموضوع الدستور لكن من الواضح إن آثار الثغرات والعراقيل الدستورية كانت من الثقل بحيث تفرض نفسها في كل مناسبة، ولهذا فإن الدستور سيكون موضوع السجال الرئيسي في الحملة الانتخابية القادمة ولأن تنفيذ التعديلات الدستورية لم يعد أمرا ممكنا في المرحلة الفاصلة حتى الانتخابات النيابية فإن تعديل الدستور وإتجاهات التعديل ستكون العامل الاساس في بناء التحالفات القادمة.

المؤشرات الراهنة تقود الى إن رئيس الوزراء الحالي خاصة وحزب الدعوة عامة يتجه للسعي من أجل الحصول على ولاية جديدة في منصب رئاسة الوزراء ومن الواضح إن نتائج إنتخابات مجالس المحافظات تدعم هذا التوجه فضلا عما حققه في مجالات الامن والادارة رغم إن الملفات الاقتصادية والخدمية بقيت على حالها المتردي، لكن ملفات الفشل هذه يمكن إلقاء اللوم فيها على شركاء المالكي السياسيين بالدرجة الاولى كما يمكن إعتبارها دليلا على النتائج السلبية للتركيبة السياسية والحدود الدستورية وهو ما يزيد من شعبية مطلب تعديل الدستور. الطريقة السابقة لتشكيل الحكومة لم تعد نافعة في تلبية طموح أي شخص يريد التصدي لموقع رئاسة الوزراء لأنها في كل الاحوال ستنتج حكومة مفككة بسبب تساوي الخيارات من ناحية القوى وقدرة الكتل المختلفة على الحد من قوة أي رئيس وزراء عبر مناورات مرحلة بناء الحكومة، وهذا يعني إن من يريد الوصول الى موقع رئاسة الوزراء عليه القيام بتركيب تحالفه السياسي مسبقا لتحقيق هدفه وعدم الانتظار الى اللحظة الاخيرة.

لقد شهدت الاشهر القليلة الماضية بروز العديد من القوى السياسية في محافظات العراق المختلفة تميل الى تقوية الحكومة الاتحادية وتعزيز سلطتها وهي تحديدا القوى العشائرية والصحوات وقائمة الحدباء وإذا أضفنا إليها القوى التقليدية المؤيدة لحكومة مركزية قوية مثل التيار الصدري وحزب الفضيلة نجد إن المالكي وحزب الدعوة أمام فرصة لتشكيل تحالف سياسي واسع مشروعه الرئيسي هو تعزيز سلطة المركز، هذا مع التذكير بوجود قوى أخرى تلتقي مع المالكي في موضوع المركزية وتختلف معه في قضايا أخرى أهمها العلاقة بحزب البعث.

المشهد السياسي العراقي يتجه في الانتخابات القادمة الى فرز كبير بين منهجين، الاول وحدويون يتجهون الى بناء دولة مركزية والثاني، اتحاديون يريدون تأكيد سلطة الاقاليم والمحافظات ويبدو إن الاتجاه الثاني سيكون ضعيفا في المرحلة القادمة بعد النتائج الضعيفة التي حققها المجلس الاعلى في إنتخابات مجالس المحافظات على خلفية مطالبه بتكوين إقليم الوسط والجنوب، تلك النتائج التي نزعت منه جميع مواقع المحافظين التي كان يسيطر عليها في المرحلة السابقة، وهذا يعني إن القوى الكردية هي وحدها التي ستكون في صف الاتحادية ونتيجة ذلك أن يصعد الانقسام القومي في العراق على حساب الانقسام الطائفي، لكن في كل الاحوال لن يصل الخلاف الى حالة الاقتتال فكل الاطراف غير مستعدة للدخول في مثل هذه المواجهة.

رئيس الوزراء وحزبه أمام خيارين واسعين للمناورة في تحقيق هدفهم، الخيار الاول تشكيل تحالف سياسي واسع جديد يتكون من كل القوى الجديدة الصاعدة التي تطالب بحكومة مركزية قوية، والخيار الثاني تطوير الائتلاف العراقي الموحد بطريقة تزيد من ثقل حزب الدعوة داخله أولا وتوجيهه نحو تعزيز حكومة المركز ثانيا وفي الحالتين لن يجد أي من التحالفين منافساً قوياً في الانتخابات القادمة.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.
٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.
٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@ yahoo.com